توازن النقائض في خريطة الشرق الأوسط السياسية
دراسة لبحث امريكي لحل مشكلة الشرق الاوسط

د . علي سعود عطيه*

مقدمة :

هذه الدراسة ، التي بين ايدينا ، الآن ، والتي عنوانها « ما بعد الامن Beyend Security » ، وقام بها الباحث الامريكي ي . مروز ، دراسة مثيرة للاهتمام ، بالرغم من جميع المآخذ التي نأخذها عليها ، وبالرغم من جميع تحفظاتنا على كثير من الدراسات والدارسين في المعسكر الامريكي بصورة خاصة والعربي بصورة عامة : فنحن الذين اتخمنا من كثرة ما اطلعنا عليه من دراسات ، كما سئمنا من لجان التحقيق واستقصاء المعلومات، لسنا على استعداد ان نأخذ بجدية دراسات غالبا ما تجمد في اراشيف ورفوف مكيفة ، لكي تبقى هنالك فترة طويلة إلى أن تفقد كل قيمة عملية لها سوى قيمتها الوثائقية التسجيلية .

ولعل مما يزيد في تشككنا في هذه الدراسة الحالية « ما بعد الامن » انها ليست الاولى ولا الاخيرة في مقولة الدراسات الغربية . فمن لدن بدايات القضية الفلسطينية أو مشكلة الشرق الاوسط ، كما يؤثر الامريكان تسميتها به ، كان هنالك لجان للتحقيق والبحث والاستقصاء : ابتداء من لجنة كنج كوين ١٩١٩ عبورا إلى لجنة بالين ١٩٢٠ فلجنة هايكرافت ١٩٢١ إلى لجان شو وسمبسون وفرنش ١٩٢٩ ثم لجنة بيل ١٩٣٧ فلجنة وودهيد ١٩٣٨ ، فلجنة التحقيق الدولية ١٩٤٦ ، ثم لجنة برنادوت ١٩٤٨ فلجان

(*) مدرس التاريخ بجامعة النجاح ـ نابلس .

اخرى كثيرة .. إلى لجنة طيب الذكر يارنج بعد حرب ١٩٦٧ ... إلى لجان اخرى خاصة بكل رئيس امريكي . علاوة على أن هنالك تقارير كثيرة بل اكداساً مكدسة من هذه التقارير . ومئات بل الوفاً من الصفحات المكتوبة التي ترتب على استقصاءات هذه اللجان .. كل هذه اللجان مع ما بذلت من جهد لا يخلو احيانا كثيرة من الاخلاص للحقيقة السياسية في المنطقة لم تستطع أن تقدم قليلا ولا كثيرا على طريق حل المشكلة الفلسطينية : شاهدنا على ذلك ما تراوح به هذه القضية الان على الرغم من قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن وقرارات الدول العظمى والدول الاخرى ..

بالرغم من كل هذا فإننا نصر على القول أن هذه الدراسة مثيرة للاهتمام جديره بالنقد والتحليل والدراسة لاسباب كثيرة : منها اننا معنيون بالاطلاع عن كل ما يكتب عن قضيتنا من الخصوم والاصدقاء ومن بينهما من المحايدين ، من اجل تكوين فكرة كلية شاملة لعاملين اثنين رئيسيين : الاول الوقوف على ارض صلبة من وعي ابعاد قضيتنا ، حتى نرتب على هذا الوعي موقفنا السياسي والاستراتيجي ، ومقتضيات امننا الوطني والقومي . والثاني أن هذه الدراسات ، باعتبار افكارها ، لا شك ستؤثر ايجابا وسلبا في موقف ذوي العلاقة بها ، الدول والهيئات والمؤسسات والاشخاص الذين قاموا بها ، كما انها تؤثر على قارئيها والمطلعين عليها في جهات الارض المختلفة . وعلى الحالتين الايجابية والسلبية فنحن مدعوون لمعادلة تأثيرها ايجابا وسلبا بموقف مقابل ، ومتابعة الابعاد المختلفة التي ستصل اليها تأثيرات مثل هذه الدراسات ، ولو بلغ الامر بنا ـ تشاؤما ـ ان نتوقع محاولة طمس أي اثر ايجابي لمعطيات هذه الدراسات أم اية اكتشافات توصلت اليها في الصالح العربي .

ثم اننا نريد أن نعرف كيف يفكر خصومنا ، والناس عامة ، فينا . فآفة مواقفنا المختلفة ـ كما يردد خصومنا ـ هو العناد المزري الذي لا يدرك ابعاد مقولة الطرف أو الاطراف المختلفة المعارضة لنا ، وليس لنا أي سلاح لمقاومتها ـ أي المقولة ـ الا الرفض السلبي . الذي اريد الخلوص اليه ليس هو الموافقة على مقولة هذا الخصم التي كثيرا ما تكون سمّا زعافاً ! معاذ الله ! فما هذا اريد ! ففي ذلك حتفنا وهلاكنا ! او اننا لن نفلح بعدها ابدا ! ولكن الذي اريده هو تفحص وتفهم النسيج المعقد والشبكة الشائكة التي ينسج منها الخصم مقولاته وطروحاته حتى نتمكن من الالتفاف عليها وتفريغها من مفعولها بمنطق علمي موضوعي مقنع مساو بل متفوق على منطقه الذي غالبا ما يكتسي ـ ظاهرا ـ بالروح العلمية والاكاديمية . فالعبرة في النهاية للافكار التي هي مقدمة الاعمال كما يقول المثل الفرنسي .

اجل ! نحن اولا وآخرا ـ في حقنا العربي ـ في حرب ، بكل ما في كلمة حرب من

معنى ، حرب فكرية ودعائية . والمسألة مسألة غزو عقول وقلوب وارواح تمهيدا للفتح والغزو العسكري . وهذا ما تعوده خصومنا بما لديهم من مقدرة على تدبير عمليات اختراق هائلة في ميدان الدعاية والفكر والسياسة . والامريكان الان بما لديهم من آلة دعائية جبارة يستطيعون بواسطة الاقمار الصناعية وغيرها من تكنولوجيا الدعاية الجماهيرية غزو الكرة الارضية بكل اطرافها والوصول في ما يقل عن ٢٤ ساعة إلى عقل كل انسان على وجه البسيطة ، وانفاذ ما يريدون ايصاله اليه ! .

وفضلا عن كل ذلك ، فنحن ـ انفسنا ـ مدعوون إلى عملية تنقية ذاتية لفكرنا ، عملية فحص جديدة لافكارنا ومفاهيمنا على محك ما يقوله الاخرون نريد أن نقوم بعملية حوار جادة مع الطروحات التي تطرح علينا ، لاننا لا نستطيع الاستمرار في تجاهلها . وانا اكرر هنا اننا لا نريد ان نقوم بعمل تنازلات ! ولكن الذي نريده هو أخذ افكار الاخرين بجدية ، حتى لو كانت متعارضة ـ ابتداء ـ مع افكارنا . . . واجراء الجدلية المطلوبة معها والوصول إلى مقولة جديدة رافضة أو مؤيدة أو بين بين . تنضاف إلى مقولاتنا في حقنا العربي ، بحسب ما تفرضه أو تعرضه علينا المقولات الاخرى . نريد أن نصل بفكرنا عن طريق المعاناة اخذا وعطاء . . ومناقشة ومقارعة حجة بحجة ، ان نصل به من مرحلة الغموض والهيولى إلى مرحلة الوضوح والنقاء بكل ما يجلبه هذا النقاء من شعور بالاطمئنان والرضا . نريد على سبيل المثال أن ندرك ابعاد مثل هذه المقولات وماذا تعني : الرفض ، الحل السلمي ، الدولة الفلسطينية ، حق تقرير المصير ، السلام ، الامن ، الحدود الامنة ، الخ . . . واي انصراف لنا عن مجابهة مثل هذه المقولات مجابهة علمية انما هو اهمال اشبه بالجريمة ، وركون إلى الامجاد واحلام اليقظة . . وتخدير للذات رهيب . وامعان في ركوب مركبة الزمن في حالة من الغيبوبة المطلقة أو شبه المطلقة ! .

ولما كان رائدنا دائما هو الحق والحقيقة من اجلنا نحن اولا ومن اجل البشرية ثانيا ، فإننا نصر على معرفة الحقيقة كاملة وغير منقوصة سيرا على شعار : « اعرف الحقيقة والحقيقة تحررك » وشعار « في النهاية لا يصح الا الصحيح » .

غاية الامر أن هذه الدراسة : « ما بعد الامن » دراسة جديرة بالاعتبار لكل النواحي التي بيناها . كما انها جديرة بالاعتبار لاسباب تتعلق بها هي : فهي دراسة تتسع لابعاد كثيرة وتصل شبكتها اللاّمة إلى آفاق عريضة في مشكلة الشرق الاوسط . والدراسة ، بما لا شك فيه ذات قيمة اكاديمية كبيرة . فهي نتاج دراسة فريق كامل من الدارسين الامريكان ، قام باستقصاء وجمع المعلومات من المنطقة مباشرة ، وقد حاول هذا الفريق استيضاح كل نقطة غامضة ، او مختلف عليها . ومما يظهر في سطور الدراسة ،

وما بين سطورها ، فانها لا تخلو من نية ايجابية ورغبة صادقة في تحقيق الامن والسلام في الشرق الاوسط على أسس موضوعية وقانونية . ومثل هذه الدراسة ربيع للدارسين والاكاديميين المتخصصين منهم بصورة خاصة اذ انهم يجدون فيها كنوزا من المعلومات التي اخذت من اعلى المستويات المسؤولة وغير المسؤولة في المنطقة : قادة سياسيين وعسكريين وعلماء وباحثين واقتصاديين وغيرهم وعلى الجبهتين العربية والاسرائيلية . وقد شملت الاتصالات التي اجراها الفريق ودخل فيها بحوار كامل مع الافراد المعنيين : ١٧٥ شخصية ممن يطلق عليهم عادة ذوو العلم Know- how .

ومع هذا فاننا ينبغي أن نبادر الى القول أن هذه الدراسة كأية دراسة اخرى ليست سوى ترجمة موضوعية تنطق عن وضع معين تدرسه او تتناوله . فهي تترجم وتنطق عن واقع الشرق الاوسط ممثلا بالدول والهيئات المنخرطة ـ مجابهة ـ بالصراع العربي الاسرائيلي : وهم الفلسطينيون والاردن وسوريا ولبنان ومصر والسعودية من ناحية والاسرائيليون من الناحية الاخرى . كما يدخل فيها ايضا الموقف الدولي ممثلا بالولايات المتحدة بصفة خاصة . ومن ثم الاتحاد السوفييتي .

وعلى هذا فهي تصور هذا الوضع بكل نتوءاته وابعاده : سياسيا وعسكريا وايديولوجيا . تصوره لا على اساس من معايير العدالة واحقاق الحق بمعناهما المطلق بل على اساس من المعايير ذات الطابع البراجماتي وسياسة تمشية الحال ، اكثر من الوصول بالامور إلى القرار ، ومحاولة البحث عن الحق الضائع ! فكل من يتوقع من دراسة كهذه الدراسة ذات الطابع الواقعي أن تأخذ حدا فاصلا وتبين الحق من الباطل ، واعني بالذات الحق العربي . فهو واهم . فالامر هنا نسبي . والحق نسبي ، ان صح القول : هذه النسبية التي تطغي على المنهجية العلمية عند ما تهمل البعد التاريخي للقضية وتتجاهل جذورها .

وبعد ، فهذه مقدمة موجزة عن الكتاب نضعها بين يدي القارىء ، قبل أن ندخل لنعيش معه محاولة لاقرار السلام في منطقة متفجرة . محاولة لاحقاق الامن في وضع ابعد ما يكون عن الامن . محاولة لتحقيق تسوية في وضع لا يكاد ينذر باية بادرة للتسوية . ومع ذلك فكاتب الدراسة متفائل ! ويحاول أن يقول ويستنتج غير ما نلمسه في واقعنا اليومي . فلنحاول اذن أن نكتشف مدى ما يحمله هذا التفاؤل من مصداقية . ونجد إلى أي مدى يمكن أن يكون مبررا . هذا ما نريد أن نفعله ـ معا ـ في الصفحات القادمة التي سنعرض فيها لطروحات الكاتب الاساسية .

(١)

توازن النقائض في وضع ثابت

يضع فريق العمل للاستقصاء والدراسة مشكلة الشرق الاوسط في طبيعتها المتوازنة الثابتة Static والتي هي عليها الآن ويظهر تناقضاتها ومحاذيرها وعيوبها على الجبهتين العربية والاسرائيلية : تلك التناقضات التي تقابل بعضها وتأخذ برقاب بعضها فتمنع المشكلة من التحرك نحو أي انفراج أو أي حل :

هنالك حروب متوالية بلغت أربع حروب في ثلاثين عاما . والحرب الخامسة ربما ليست بعيدة . بل هي مرشحة للاندلاع في اي لحظة . وبالرغم من نتائج هذه الحروب المتفاوتة بالنسبة للطرفين . فليس هنالك أي تحول عن دينامية العداء . بل ان التوجه العام في المنطقة يشير ببوصلته نحو حروب جديدة والسير حثيث على طريق المواجهة الساخنة كالقدر .

والدراسة تشير إلى ما يعتبره العرب : البناء القائم على العنف Structural Violence أو ما يمكن أن نطلق عليه البناء القاتل ، والماثل الان في السياسة الاسرائيلية في الاراضي المحتلة . والذي يتجسد في مصادرة الاراضي العربية ، في كل يوم ، بتحد صارخ ، من اجل اقامة المستوطنات عليها .

وبالمقابل تشير الدراسة إلى ما يعتبره الاسرائيليون حربا بمعناها الكامل full fledged war والمتمثلة بغارات الفدائيين على اسرائيل ، وما ينجم عن ذلك من قتل ودمار وضحايا .

وهذان الموقفان الاخيران يؤزمان المشكلة الى درجة عالية ويجعلان الاوضاع في الشرق الاوسط مشدودة متوترة دائمة الغليان .

ويزيد في هذا التوتر ، حسب ما يذهب اليه الكاتب استنادا على استقصاءات فريق العمل الامريكي ، الصراع بين القوتين الاعظم اللذين يحاولان استقطاب دول المنطقة للسير في فلك استراتيجية كل منهما مما ينعكس ويلا وثبوراً على المنطقة ويحرمها من الاستقرار المطلوب .

ويستشهد الفريق على هذا ، بقول مسؤول اردني : « إن لدى هاتين الدولتين الكثير مما يقتتلان من اجله . . ولا يعنينا كثيرا تزويدهما بفرصة اخرى للصراع » .

على أن « فريق العمل » يرى ـ من الناحية الاخرى ـ ان مشكلة الشرق الاوسط من

التعقيد بمكان بحيث انه لا بد من مشاركة طرف ثالث من اجل التسوية .

وفي نظر « فريق العمل » انه قد تضافر وتواتر لدى كل طرف من الطرفين المتنازعين العربي والاسرائيلي ادلة وبراهين وشواهد يعزز بها موقفه بينما يهمل الادلة والشواهد والبراهين لدى الطرف الاخر . وان صانعي القرار السياسي في كل من هذين الطرفين يبنون على هذه الشواهد والمعطيات مواقف سياسية ثابتة وجامدة لا يتزحزحون عنها . اكثر من ذلك فإن صانعي القرار على الجبهتين العربية والاسرائيلية لا يثقون بأي مصادر للمعلومات أو تفسير لهذه المعلومات يتعارض مع مفاهيمهم ومواقفهم المسبقة .

يختفي تحت الرفض العربي والرفض الاسرائيلي عوامل تمنع كليهما من القيام بأية تنازلات وتتمثل هذه العوامل في التهديدات الواقعة أو المحتملة التي يمارسها او قد يمارسها كل طرف ضد الاخر (سنعرض لهذه التهديدات فيما سيأتي) . ويساهم في هذه التهديدات الواقعة والمتوقعة ما تتلقاه الاطراف المختلفة من معونات من مصادر خارجية . وإن الجهات الستة المشتركة مباشرة في الصراع العربي الاسرائيلي (الفلسطينيون ، الاردن ، سوريا ، لبنان ، السعودية ، اسرائيل) جميعهم يشتركون في الاعتماد على قوى خارجية بدرجة عالية من اجل استمرار عملياتهم العسكرية يوما فيوما day- to- day- operations .

اما النوايا الحقيقية لدى الجهات المختلفة فتظهر ـ كمثال ـ في المقولة الاسرائيلية التي تدعو منظمة التحرير الفلسطينية الى تعديل ميثاقها الوطني بحيث يدين « الارهاب » قبل أن تقبل اسرائيل بالتعامل مع المنظمة . وبالمقابل فإن الفلسطينيين ليتساءلون بدورهم ايضاً : لماذا ينبغي عليهم أن يتنكروا لميثاقهم بينما « ميثاق بيجن » او ما يسمى « عقيدة ارض اسرائيل Eretz Israel Doctrine » لا تزال سائدة ومعروفة لدى الجميع . وتشهد دراسة فريق العمل برأي مسؤول مصري اشار إلى أنه من الصعب تعبيد الجسور بين الشعبين الاسرائيلي والفلسطيني « اذ أن كلا منهما يظهر أنه يعتقد ، ولديه بعض المبرر التاريخي في ذلك ، ان النوايا النهائية لكل من الطرفين تدعو إلى تدمير الطرف الاخر » .

كما أن هنالك بين بعض صانعي القرار السياسي العربي من يعتقد أن معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ليست الا جهدا هادفا ، ويدخل في اطار ما يسميه مسؤول عربي « المخطط الاسرائيلية لتقسيم العالم العربي وتفنيته تمهيدا لاخضاعه » .

ويتساءل صاحب الدراسة ، البروفسوري . مروز ، استمرارا منه على دراسة النقائض على الجبهتين : يتساءل هذا السؤال الهام : هل يستطيع ثلاثة ملايين يهودي الاحتفاظ بمليوني فلسطيني تحت الاحتلال العسكري ؟

ويجيب على ذلك بحسب المعطيات التي بين يديه : إن الاجابة على هذا السؤال حتى الان هي بالاثبات . اما بالنسبة للمستقبل فان الاجابة ستصبح محوطة بكثير من المصاعب وربما المخاطر . ويعـزر . مروز مقولته ، باجابات معظم الاسرائيليين الذين قابلهم « فريق العمل » .

ولعل مما يزيد في تعقيد الموقف في النزاع العربي الاسرائيلي في نظر « فريق العمل » ان العربي لا يعرف المساومة ، ويستشهد الكاتب على ذلك بقول احد الدبلوماسيين الغربيين في المنطقة الذي فسر هذه الظاهرة (عدم المساومة) على الوجه التالي : « إن العربي العادي يؤثر أن يحتفظ بشقته فارغة لمدة سنة من اجل أن يبرهن على قيمتها على أن يؤجرها بأجر اقل كثيرا مما يعتقد من قيمتها » .

ومما يزيد في تعقيد المشكلة ايضا ، هذا السيل من التهديدات الكلامية والمستوى العالي من العنف اللغوي الذي يصدر عن العواصم العربية والاسرائيلية على السواء . عبر عن ذلك مسؤول سياسي عربي بقوله : « كيف يمكن لانسان أن يتعامل مع رئيس وزراء مثل بيغن الذي يتلفظ بهذا السيل المتواصل من الاحتقار والكراهية والعناد في كل شيء يقوله أو يفعله » .

وعلى هذا الدرب الشائك من الحرب الاعلامية التي تعرض للنقائض في الموقفين ، هنالك مبررات يلجأ اليها المسؤولون في نقاشاتهم مع « فريق العمل » ليبرروا رفضهم لخيارات السلام المطروحة من مثل : الحكم الذاتي والدولة الاتحادية ودولة فلسطينية محايدة ، ودولة فلسطينية مستقلة .

وبالرغم من هذا فإن فريق العمل يسارع ليشهد أن المطـلب الاساسي للسلام اصبح مقبولا من جميع العرب وبعدد يزداد يوما فيوما (ويحب أن لا يكشف عن نفسه الان) من اليهود ، ويعني بالمطـلب الاساسي : **حق الفلسطينيين في ممارسة تقرير المصير** : كما أن كلا من العرب والاسرائيليين يتفقون على أن المشكلة الاكثر الحاحا والتي تحتاج إلى حسم : هي حق تقرير المصير الفلسطيني والمستقبل السياسي للضفة الغربية وغزة .

ومهما يكن من أمر فقد لجأ فريق العمل إلى دراسة التهديدات المنظورة ومتطلبات الامن التي تقوم بها اطراف النزاع الستة . كما أن فريق العمل ـ كما يذهب المؤلف ـ عمد إلى دراسة استراتيجيات بناء الثقة Confidence building . وما الذي ينبغي عمله من اجل تغيير مفاهيم ومشاعر التهديد الى أمر مخالف إلى الشعور بالامن والسلام . وقد خرج الفريق بنتيجتين :

١ ـ الاولى : اعتقاد كل فريق من الخصوم من انه يمكن تدريجيا الكشف بصراحه عن نواياه الحقيقة للعيش بسلام .

٢ ـ الثانية : الحاجة إلى اقتراح وبناء اجراءات تكوين أو خلق ثقة متبادلة الامر الذي سيؤثر بقوة على كل من الطرفين المتخاصمين .

ويذهب فريق العمل إلى أن غالبية اطراف النزاع الستة يرغبون في السلام ولكن هنالك من العوامل الكثيرة ما يمنعهم من تحقيقه . ما هي هذه العوامل ؟ ان الاجابة على هذا السؤال كامنة في ما يسميه الفريق « احساسات ومشاعر التهديد Perceptions of threat » والتي لا يزال كل فريق من الافرقة المتخاصمة واقعاً تحت وطأتها .

توازن النقائض في الاحساسات بالتهديد المتبادلة بين الطرفين = الوجه الاخر لعوامل التجميد او الجمود في مشكلة الشرق الاوسط

من خلال ما اسلفناه من عوامل ورموز العداء الثابتة ، والواقفة بالمرصاد لدى كل من الطرفين نحو الاخر فإن هنالك احساسا بالتهديد الكامن أو المتوقع لدى كل من الطرفين . أو أن الشعور بالتهديد لدى الطرف الواحد يقابله احساس مقابل بالتهديد من الطرف الآخر ، مما يشكل توازنا للنقائض من نوع آخر ، يمكن أن نطلق عليه توازن النقائض في التهديدات . فحقيقة الامر أن لدى الطرفين المتخاصمين العرب والاسرائيليين دواعي كثيرة تمنع كلا منهما من الاطمئنان الى سلامة وجوده . هذه التهديدات هي ما سنتحدث عنه فيما سيأتي بالنسبة لكل دولة .

١ ـ اسرائيل :

ينطلق الاسرائيليون حسب رأي فريق العمل ـ من مقولة التهديد الى مفهوم معين للحدود . فحدود يمكن الدفاع عنها defensible borders بلا سلام ، هي أفضل من سلام بدون حدود يمكن الدفاع عنها . فقد كتب بيجال آلون في اكتوبر ١٩٧٦ في مجلة الشؤون الدولية العالمية ، ان الدول العربية تبحث عن « عزل اسرائيل وخنقها ، ومحوها من خريطة العالم » . ويستشهد دعاة هذه المقولة على صحتها بأن اسرائيل لم تنج في حرب ١٩٧٣ من الهلاك الا لبعد حدودها . وتتجسد عوامل التهديد على اسرائيل كما ذكرها اسرائيليون في مواقف مختلفة لفريق العمل على الوجه التالي :

هجوم متوقع من الجبهة الشرقية (سوريا ، العراق ، الاردن ، العربية

السعودية) . فبامكان العرب هنا أن يحققوا نصرا تاكتيكيا متوسطا : مثل احتلال اريحا ، وسدّ الطريق إلى القدس أو انهم قد يستولون على اصبع الجليل ، وهو المعروف باسم وادي الحولة ، والذي لا يبعد سوى خمسة اميال عن عمق اسرائيل .

وعلى هذا الطريق الذي يهدد اسرائيل فان الامم الاسلامية قد انفقت ٤٨ مليار دولار على التسليح . وان سوريا تملك الآن صواريخ ارض ، قادرة على ضرب اهداف في أي موقع من اسرائيل .

وبالنسبة للارقام الصادرة عن المصادر الاسرائيلية فان الجبهة العراقية السورية الاردنية على الحدود الشمالية الشرقية لاسرائيل تحتوي على ٥٠٠,٠٠٠ جندي و٤,٥٠٠ دبابة ، و٨٠٠ طائرة مقاتلة (مقارنة بـ ٦٥٠ لدى اسرائيل) .

كما أن الاسرائيليين يعتقدون أن مصر يمكن أن تجرّ إلى حرب عربية اسرائيلية اخرى ، ويستشهد الاسرائيليون ـ على هذا التوجه ـ بتصريح لرئيس الوزراء المصري مصطفى خليل يشير فيه الى احتمال التدخل المصري في حرب عربية اسرائيلية ، بموجب معاهدات الدفاع المشترك .

ويستدرك الاسرائيليون قائلين : انه اذا لم يكن لدى العرب الان التنسيق او الارادة السياسية للعمل المشترك ، فإنه ربما يجيء ذلك اليوم الذي يتحد فيه العرب ليتحقق معه الكابوس الذي يؤرق حلم كل يهودي .

ومما يقلق بال اسرائيل ايضا هو قيام الدولة الفلسطينية على أرض الضفة الغربية وغزة . وقد اشار مناحيم بيغن اكثر من مرة إلى الخطورة في قيام مثل هذه الدولة ، وانها « ستصبح تابعة للاتحاد السوفياتي ، الذي سينطلق منها للبحث عن النفط في الشرق الاوسط » .

كما يزعم الاسرائيليون ايضا أن كثيرا من العرب أنفسهم سينظرون بقلق الى نشوء دولة فلسطينية مدججة بسلاح قد يجرها إلى الاعتداء على غيرها .

تزايد السكان العرب : ثمة امر آخر يثير قلق اسرائيل وشجونها : ذلك هو تزايد السكان العرب بنسبة كبيرة . فمما يؤثر عن ليفي اشكول رئيس الوزراء السابق قوله بعد احتلال الارض العربية الفلسطينية في عام ١٩٦٧ بسكانها المليون : « إن المهر عظيم (يعني الارض) ولكن العروس (يعني السكان) ذات جمال متواضع » .

وتستشهد الدراسة ايضا بقول بيجال يادين نائب رئيس الحكومة الاسرائيلي الحالي : « اذا ما استمررنا الى الابد في السيطرة على الضفة الغربية ، فإنه لن يكون باستطاعتنا أن

نبقى دولة ديمقراطية ذات طابع يهودي » .

ولعل مما يزيد في تعقيد مشكلة السكان لدى الاسرائيليين هو الهجرة المضادة من اسرائيل نفسها . فبحسب ما تكشف لفريق العمل ، من عالم اسرائيلي ، فإن الارقام الخاصة تبين أن هنالك تقريبا ٤٠٠,٠٠٠ مواطن اسرائيلي ، يعيشون الآن في شرق الولايات المتحدة ، ومن بينهم « عدد واف من أحسن عقولنا الشابة » .

ومما يزيد في القلق الاسرائيلي من ناحية السكان ايضا ، وجود « عرب اسرائيل » ما قبل ١٩٤٨ الذين يمثلون فئة شابة (متوسط اعمارهم ١٥,٥ سنة) من اكثر الفئات شبابا في العالم . وهؤلاء بما لديهم من قابلية للتزايد يطلق عليهم البعض « سرطان اسرائيل Cancer in Israel » .

ومما يرتبط ارتباطا وثيقا بالمشكلة السكانية ايضا هو ترجمة الوجود السكاني للمليون والنصف العرب إلى مقاومة فعالة ، فانهم ، عندئذٍ سيجبرون الحكومة الاسرائيلية لتحويل جزء كبير من جهدها العسكري من الحدود إلى الداخل .

وتشير الدراسة في نهاية معالجتها للمشكلة السكانية إلى افادة اداري كبير في الجامعة العبرية حيث قال : « اقول لكم بصفتي الشخصية ، ان الدولة اليهودية ، يوما ما ، ستكون الاغلبية الواضحة فيها هي للمواطنين العرب المسلمين » .

تغير موقف الولايات المتحدة الخاص من اسرائيل : امر آخر يؤ رق اسرائيل ويشغل بالها ، وهو تحول الامريكان عن ايلائها مكانة خاصة بين دول الشرق الاوسط . ويرتبط بهذا تخوف اسرائيل من ان حل مشكلة الشرق الاوسط ، سوف يقلل من الحاجة الملحة لاسرائيل في الاستراتيجية الامريكية ، مما يترتب عليه نقص كبير في المعونات الامريكية لاسرائيل . وثمة تخوف آخر لدى اسرائيل يرتكز على تهديدات الاوابك ومنظمة التحرير ، في اتخاذ اجراءات راديكالية ضد الدول الغربية المتعطشة للبترول .

ومن ناحية اخرى فإن مما يثير القلق السياسي لدى اسرائيل هو تنامي العلاقة الامريكية المصرية إلى الدرجة التي ستعني ان امريكا لن ترى في اسرائيل الشريك الاوحد ، أو المعتمد الاول ، في المنطقة .

العمل الفدائي كتهديد لامن اسرائيل : تشير الاحصائيات إلى أنه منذ عام ١٩٦٥ ، بلغ عدد القتلى اليهود ، ٦٥٠ ، في غارات الفدائيين على اسرائيل .

ولا يقتصر اثر هذه الغارات في المفاهيم الاسرائيلية على ما فات بل على ما هو

آت : أو تستشهد الدراسة بتساؤل ضابط يهودي متقاعد : « إن هنالك من يقول أن الفلسطينيين اذا حصلوا على وطن ، فإننا سنتخلص من « الارهاب » كيف يمكن أن يكون ذلك مضمونا لنا » ؟ .

ومن ناحية اخرى فإن هنالك عنصرا آخر في مقولة الخوف الاسرائيلية : ذلك ان هنالك عاملا كامنا وكبيرا يثير الهواجس والمخاوف ومؤداه أن اسرائيل قد اصبحت اتكالية بصورة كبيرة على القوى الخارجية من اجل حاجاتها الاقتصادية والعسكرية . وقد نبه زعماء الحكومة الاسرائيلية ، بأنه يجب على اسرائيل أن تقلل من اعتمادها على القوى الخارجية ، والا فانها ستعاني يوما من نتائج الضغط عليها في القيام باعمال تهدد بصورة جدية الوجود الحقيقي ، أو قابلية الدولة اليهودية على الحياة .

٢ ـ الاردن :

للاردن ايضا مفاهيمه واحاسيسه بالتهديدات الواقعة أو المتوقعة عليه من اسرائيل . وهذه المفاهيم والاحاسيس لها مكانها في حلقة توازن النقائض في تهديدات الشرق الاوسط . فالمؤلف يستهل دراسته ، المبنية على معطيات فريق العمل في التهديدات الواقعة على الاردن ، بالاشارة إلى تصريح للملك حسين عندما رفض طلبهُ في انسحاب من الضفة الغربية شبيه بانسحاب اسرائيل من سيناء : « ان هذا (اي عدم الانسحاب) خطأ مأساوي ! من قبل صانعي السياسة الامريكية » .

ويمضي المؤلف ليقول انه بالرغم من أن منظمة التحرير الفلسطينية ، قد حازت على اعتراف من دول كثيرة في جميع جهات العالم . فإن الاردن يظل عاملا فاعلا Key player في عملية السلام كما ثبت من دوره في مؤتمر بغداد ١٩٧٩ .

فما الذي يخشاه الاردن من اسرائيل :

هجوم وقائي اسرائيلي : لقد درجت السياسة الخارجية الاسرائيلية على القيام ـ بصورة متواصلة ـ بغارات وقائية ، كما يشاهد من اعمالها في اواخر السبعينات في لبنان ، وعلى هذا يخشى بعض الاردنيين من أن الاسرائيليين ، يريدون وضع حدودهم ـ لاسباب أمنية ـ على الجبال الى الشرق من نهر الاردن .

كما أن الاردنيين يشتكون من سياسة تهجير الفلسطينيين بالقوة . فالاردنيون ـ كما تذهب الدراسة ـ معنيون كثيرا بالضفة ، التي كانت خاضعة للحكم الاردني منذ عام ١٩٤٨ . وتذكر الاحصائيات الاردنية ان نقص السكان العرب في القدس ، والضفة بلغ ٣٢٪ من مجموع السكان منذ عام ١٩٦٧ . كما أن السلطات الاسرائيلية ماضية في

سياستها في تشريد العناصر اللامعة ، من بين كبار المتعلمين الفلسطينيين في الضفة والقطاع . ويشير الاردن إلى التقارير المصنفة والموثوقة ، من قبل الجهات المحايدة التي تتحدث عن المعاملة القاسية التي يتعرض لها المواطنون في الضفة والقطاع من مثل ضرب الاطفال في مخيمات اللاجئين من قبل الجنود الاسرائيليين . كما يربط الاردنيون بين سياسة تهجير العناصر المثقفة ، واخضاع العناصر المتبقية في الارض المحتلة .

كما يتحدث الاردنيون عن الضعف العربي ، كتهديد آخر ، امام التيارات الراديكالية والتأثيرات الخارجية . فمع استمرار سياسة اللاحل فإن مزيدا من التطرف سيدخل الى الصورة السياسية العربية . ويتخوفون مما يدعونه زيادة راديكالية العناصر الاسلامية ، وظهور ما يمكن أن يسمى الماركسية الاسلامية Marxist Islam .

ويشتكي المسؤولون الاردنيون ايضا من الفرقة العربية التي هي كعب اخيل في الموقف السياسي العربي . ونقطة القوة الاساسية ـ بالمقابل ـ لدى الاسرائيليين : فان عدم مقدرة العرب على التوصل إلى استراتيجية تفاوضية موحدة ، قد ساعدت الاسرائيليين ، على انتهاج سياسة ناجحة تعتمد على سياسة « فرق تسد » .

الخسارة المستمرة لقطاعات جديدة في الارض العربية وتغيير شخصية القدس . فمنذ اواخر الستينات ، بدأت اسرائيل ما دعاه بعض المسؤولين الاردنيين ، عملية « تسمين القدس fattening Jerusalem » او ما يطلق عليه احيانا « مشروع شارون » .

ومما يقلق بال السلطات الاردنية فيما يتعلق بالمستقبل المنظور ، ان لدى الاسرائيليين : المصادر المالية والارادة السياسية والقوة العسكرية التي تمكنهم ـ مجتمعة ـ من تنفيذ سياسات ضم الاراضي وتضخيم القدس . ولقد ارتبط بالاندفاع في هذه السياسة عدم وجود ضغط عالمي رادع . الامر الذي حدا بالاسرائيليين الى استمرار عملية الاستيطان والاستمرار فيها : « ولعل هذا هو السرّ في عدم دعم الاسرائيليين لتسوية شاملة في المنطقة » . ويذكر الاردنيون في هذا الشأن تصعيد الاسرائيليين لعملية انشاء المستوطنات بعد كامب ديفد .

هجوم اسرائيلي محدود من اجل خلق ازمة جديدة : يتخوف الاردنيون من أن تلجأ اسرائيل لهجوم محدد القصد منه خلق ازمة سريعة . ويصبح مثل هذا الهجوم ملحا عادة عندما تفكر الولايات المتحدة بتحجيم معوناتها العسكرية والاقتصادية . ولما كانت الولايات المتحدة ، هي القوة الوحيدة المؤهلة لاجبار اسرائيل على القيام بتنازلات ، فإن

الاسرائيليين الذين يتمتعون بما يسمى « عقلية الازمة » Crisis mentality سيلجأون إلى ركوب موجة تراجع معينة في الرأي العام الامريكي نحو اسرائيل ، بان يلجأوا إلى شن حرب مفاجأة تقلب موازين الاشياء ، وتعيد الاهتمام الامريكي نحو اسرائيل كما كان عليه .

على اية حال فإن الاردنيين ، يشيرون إلى أنه يجب على الحكام العرب ، أن يستخدموا سلاح النفط والدولاب النفطي للضغط على الولايات المتحدة ، من اجل أن تضغط بدورها على اسرائيل ، تلك الدولة التي بدون المساعدات الامريكية ستصبح كأي دولة اخرى عادية مثل كينيا ونيبال . و« يعلم هذا كل اسرائيلي . كما نعلمه نحن العرب ، وعلى هذا فإنه يمكننا الاستنتاج أن الاسرائيليين مستعدون لعمل أي شيء للمحافظة على هذه العلاقة الخاصة » .

ونحن نلاحظ أن موقف التخوف الاردني من ديالكتيكية العلاقة الاسرائيلية الامريكية يقابله نفس التخوف الاسرائيلي من ديالكتيكية هذه العلاقة ولكن من ناحية اخرى ، كما شاهدنا . لهذا فإن الطرفين ، يقفان وقفة خاصة من هذه العلاقة ، ويتعاملان معها من مواقف مختلفة ، في عملية توازن النقائض الكبيرة في ملحمة الشرق الاوسط السياسية العسكرية .

٣ - سوريا :

هجوم اسرائيلي متوقع : كما هو الحال بالنسبة للاردن ، فإن السوريين يتخوفون من هجوم اسرائيلي يقع في اية لحظة كما تسقط المقصلة ! وتستشهد الدراسة بما تحدث به بروفسور سوري لفريق العمل : « إن كل سوري يعلم أنه يعيش تحت السيف الاسرائيلي المصلت عليه ، وان هذا السيف قد يسقط في اية لحظة » .

كما أن دبلوماسياً سورياً استشهد بقول للجنرال الاسرائيلي شارون : « إن الحرب القادمة بين الاسرائيليين ستكون سريعة كالبرق وستكون من العنف بمكان كبير حتى انها ستأخذ العرب عشر سنوات ليشفوا من تأثيرها وعقابها . وسيكونون في وضع من الفوضى ، بحيث لن يكون لديهم الحافز للتفكير بقطع النفط مرّة اخرى . وعندئذ سيمكن حل المشكلة الفلسطينية » .

الاحتفاظ بمرتفعات الجولان : يخشى السوريون ، ان الاسرائيليين سيستمرون في احتلال مرتفعات الجولان . وغالبا ما يستشهدون في هذا الشأن بقول بيجن :

« لن ننسحب من مرتفعات الجولان . وليس في قاموسنا شيء من قبيل التضحية

بالامن من اجل السلام . فإنه لا سلام بدون امن . وبدون مرتفعات الجولان لن يكون هنالك أمن » .

٤ ـ لبنان :

يتفهم اللبنانيون ـ حسب معطيات فريق العمل ـ الاهداف الفلسطينية من مثل الاستمرار في الحرب حتى يتحقق للفلسطينيين حق تقرير المصير ، وتحقيق الهدف النهائي الا وهو اقامة الدولة الفلسطينية ، كما أن الشعب اللبناني يدرك أن الاوضاع الداخلية لن تصل إلى الاستقرار والسلام ـ في لبنان ـ بدون حسم للوضع الاسرائيلي ـ الفلسطيني . ومن هنا ووسط هذا الوضع المحير ، فإن اللبنانيين يستشعرون الخطر عليهم من النواحي التالية :

ضم الجنوب اللبناني وهو الواقع إلى جنوب نهر الليطاني من قبل اسرائيل (ضما قانونيا de jare أو واقعيا de facto) .

ان تضم سوريا (قانونيا أو واقعيا ايضا) القسم الشمالي من لبنان ـ شمالي نهر الليطاني .

ولكن الهم الاكبر ، الذي يسيطر على بؤرة شعور كل لبناني ، هو الحاجة إلى حل القضية الفلسطينية . وعلى هذا الطريق فإن فريق العمل يذكر أن بعض اللبنانيين يرحبون ببقاء الفلسطينيين الذين يعيشون حاليا في لبنان فيه ، وان يتم استيعابهم في المجتمع اللبناني ، اذا هم قرروا عدم مغادرة لبنان ، إلى الدولة الفلسطينية الوليدة .

٥ ـ الفلسطينيون :

يتحدث المؤلف الاستاذ امروز Omroz عن ان ما حدث للفلسطينيين خلال العقدين الماضيين ، يمكن وصفه ، بانه بعث لوعيهم العرقي والوطني . كما انهم تمكنوا من تطوير حركة سياسية وطنية .

ومن جراء هذا الوعي ، اصبح لدى الفلسطينيين ـ من خلال معاناتهم النضالية ـ فهمٌ عميقٌ للنفسية الاسرائيلية ، وما يعتورها من تهديدات لهم . فالدراسة تستشهد بقول احد زعماء الضفة الغربية : « اننا نحن الفلسطينيين ينبغي ان نتذكر ان الاسرائيليين يمتلكون « عقلية القلعة Fortress Mentality » . كما ان هذا الزعيم يستشهد بقول الملك حسين أن الاسرائيليين « لا زالوا يعيشون حياتهم من يوم ليوم بدون رؤ يا مستقبلية » وقد اضاف الزعيم الفلسطيني إلى ذلك قوله « إننا نريد تذكير اصدقائنا

الاسرائيليين انهم خبراء في كسب الحروب ، وخسارة السلام ، الذي يمكن أن يتلوها أو ليس تعلم صناعة السلام ، افضل من شن الحرب إلى ما لا نهاية ؟ » .

على أن معطيات الدراسة تشير إلى التهديدات المحددة التالية التي يستشعرها الفلسطينيون :

رفض الاسرائيليين لحق الفلسطينيين في تقرير المصير .

الجهود الاسرائيلية لتغيير الشخصية والاقتصاد في الضفة الغربية وغزة . ويشير الفلسطينيون في هذا الشأن إلى ارقام قامت بجمعها الحكومة الاردنية تبين أن ٩٢٪ من واردات الضفة ، تأتي من اسرائيل . بينما تدهورت صادراتها (الضفة وغزة) إلى الاردن ، لأن اسرائيل جمدت النظام البنكي في الضفة الغربية .

ويشير الفلسطينيون هنا إلى قرار مجلس الوزراء الاسرائيلي ، الذي يسمح للافراد الاسرائيليين العاديين ، بشراء الاراضي في المناطق المحتلة . كما أنهم يعللون التضخم ، ورخص سعر الليرة الاسرائيلية ، بانهما وسيلة لاجل بناء المستوطنات ـ على الارض العربية ـ باسعار بخسة .

اما بالنسبة لتدمير الشخصية الفلسطينية ، فيستشهد فريق العمل بقول مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية : « إن السياسات الاسرائيلية متعمدة وواضحة : تدمير كل آثار الشخصية ، والهوية الفلسطينية ، للارض العربية وبناء كيان اسرائيلي عليها ، يضاف إلى اسرائيل . واسلوب الاسرائيليين في هذا الشأن مباشر ، لا يمكن أن ينطلي على احد ، ويظهر في السياسات الاقتصادية ، ونفي ومضايقة الشباب المثقف وسياسة الاستيطان » .

وتستشهد الدراسة ، بقول بروفسور فلسطيني ، اشار إلى مقالة في نيويورك تايمز حيث تتساءل احدى الاسرائيليات : اذا كان لديك صداع ، فانك لا تقوم بقطع رأسك ؟ . . لقد قالت هذه الاسرائيلية : ان لدى اسرائيل هامشاً طوله ٣٠ سنة قبل أن يتفوق الفلسطينيون على الاسرائيليين من الناحية العددية ، من هنا فان علينا أن نستفيد من هذا الهامش على احسن وجه » . ويعقب البروفسور الفلسطيني على ذلك بقوله : « الآن تعرفون لماذا نقول نحن العرب ان الاسرائيليين قصيرو النظر : انه امر لا يصدق » .

ضعف تأييد الرأي العام العالمي للقضية الفلسطينية :

ويشير الفلسطينيون في هذا الشأن إلى التطورات في ايران وافغانستان في بدايات

الثمانينات ، تلك التطورات التي جعلت القضية الفلسطينية ، وزخمها ، يتراجعان إلى الخلف ، او على الاقل انهما يتراجعان مؤقتا ، بالرغم من تفهم تأثير المبادرة الاوروبية .

وتوضح الدراسة اهمية الرأي العام العالمي بالنسبة للقضية الفلسطينية ، والجهد الكبير الذي يوظفه الفلسطينيون لحساب قضيتهم . فمنذ اواسط السبعينات قرروا أن يكرسوا طاقاتهم ، من أجل اقناع العالم بعدالة قضيتهم ، واهميتها . وعندما حققوا هذه الناحية ،عمـــدوا في بداية الثمانينات ، إلى تجنيـــد الدعم العالمي ، من اجل تحقيق هدفهم ، في تحقيق المصير .

ومما تقرره الدراسة ، مدى ما حققه الفلسطينيون ، من ناحية مؤسسية وتنظيم ذي طابع حضاري ، يجعلهم مؤهلين لحمل اعباء ومسؤولية دولتهم المستقبلية فضلا عن كونهم جديرين ، بحق تقرير المصير . وتستشهد الدراسة برأي وزير اردني متقاعد في « أنه من الواضح أن منظمة التحرير الفلسطينية ، هي في حقيقة امرها دولة في المنفى ، كما أن ممارساتها عبر السنوات الماضية ، تعطي الانطباع بانها افضل من ٧٥ عضوا من اعضاء هيئة الامم المتحدة ، وذلك فيما يتعلق بالخدمات والكفاءة ، ويمكننا تعميم ذلك إلى الناحية الديمقراطية ايضا » .

٦ ـ مصر :

يتطلع الاربعون مليون مصري (والذين يمثلون التجمع الاكبر بين العرب) ، إلى عمل سريع لمعالجة النواقص والثغرات المتعددة ، في الاقتصاد المصري والعناية الصحية والتعليم والامور المعيشية .

ويندرج تحت هذه الحالة المقلقة التي يوردها فريق العمل في رحلته لاستقصاء الحقائق ، تهديدات محددة تشغل بال المصريين ايضا ، بالرغم من معاهدة السلام المعقودة بينهم وبين الاسرائيليين : هذه التهديدات هي :

عودة الاسرائيليين لاحتلال سيناء من جديد : فالدراسة تورد أن المطامع الاسرائيلية في ضم الاراضي المصرية لم تتوقف . فقد اشارت الدراسة إلى رأي اتباع حزب العمل الاسرائيلي ، بانهم لو كانوا في السلطة ، فانهم لم يكونوا ليتخلوا عن مستوطنات مثل ياميت .

كما أن الدراسة تستشهد بالنزعة التوسعية لدى اسرائيل ، باتجاه مصر ، من قول وزير الدفاع (السابق) ايزر وايزمن على الملأ : « انه اذا حصل تحول في الموقف المصري فاننا سندخل سيناء للمرة الرابعة » .

كما ان احدى الهواجس الاساسية للمصريين ، هي سيطرة السوفييت على الشرق الاوسط ، وما سيؤثره ذلك على تغيير المعادلة السياسية الراهنة في الشرق الاوسط .

وتربط الدراسة بين هذه المقولة عن الخطر السوفييتي ، وبين تزويد روسيا لبعض الدول العربية بالاسلحة . وتستشهد بالهجوم المصري في ابريل ١٩٧٧ على ليبيا ، الذي يعتقد بان سببه ، يكمن في عوامل متعددة ، من بينها توجيه الصواريخ الليبية سام ٢ ، سام ٣ ، سام ٦ ، المضادة للطائرات نحو الاسكندرية وغيرها من المدن المصرية .

البحث عن السلام

بعد الدائرتين السابقتين ، اللتين يدور فيهما النزاع ، وتتوازن فيهما النقائض : دائرة العوامل الثابتة للنزاع ، ودائرة التهديدات المتبادلة في هذا النزاع ، والتي هي ترجمة نفسية للعوامل الثابتة للنزاع ، أو قل انها المستوى الثاني لعوامل النزاع نصل إلى البعد الثالث في هذه الدراسة او الدائرة الثالثة في دوائر نزاع الشرق الاوسط المتداخلة : الا وهي كيف تخرج الاطراف المتنازعة من هذا النفق المظلم للنزاع ؟ وهل هنالك من بصيص نور في آخر النفق ؟ هذا ما يحاول فريق العمل أن يتقصاه ويجيب عليه بالآتي :

على طريق السلام لا بد من بناء الثقة ، ولا يكون هذا الا بان يعي كل طرف ، كيف يحس الطرف الآخر ، ما يقلقه . وذلك هو الخطوة على طريق القبول المشترك : أي قبول كل طرف للطرف الآخر Mutual Accomodation .

ويرى محام فلسطيني ، كما يشهد بذلك فريق العمل ، ان الاسرائيليين ، لا يعنون كثيرا بالمخاوف والالام الفلسطينية . ويضيف إلى ذلك قوله : « انهم بطبيعة الحال يناقشون نفس الشيء عنا . وان هذا لامر صحيح في هذه المرحلة عن كل منا » .

اذن الخطوة الصغيرة والبسيطة على طريق السلام ، تكمن في اكتشاف ومقارنة اهتمامات السلام ـ أو هموم السلام ـ لدى كل فريق من اجل بناء ثقة متبادلة . . بحيث يشارك كل طرف الطرف الاخر في مخاوفه . واذا تكون لدى كل فريق شعور بان يعيش في سلام ، فإن المخاوف يمكن ازالتها ، وبهذا يمكن التوصل إلى التسوية الشاملة .

يبقى موضوع الامن الذي يعرفه المؤلف تعريفا مبسطا : التحرر النسبي من التهديدات المؤذية . ومقابل هذا التعريف يورد المؤلف التعريف الاسرائيلي الاصعب الذي نفهمه من تعقيب مسؤول اردني عليه بقوله : « ان مصطلح الامن لدى الاسرائيليين له معنى الاطلاق وهو يعني كل شيء . فالاقتصاد والقانون والسياسة ، كل هذه الجوانب ، اصبحت هموما على طريق الامن » ويضيف المسؤول الاردني إلى ذلك : « إن

الامن لا يعني شيئا اذ عرف انه يعني كل شيء . . . فاذا كان هنالك سلام ، فانه سيكون هنالك فوضى اقل ، في تعريف مفهوم الامن » .

وعندما قام فريق العمل بتوجيه سؤال إلى مسؤول في وزارة الدفاع الاسرائيلية ، عن رأيه في اضافة المسؤول الاردني ، اجاب بانه لا يوافق عليه ، وأصرّ على أن « الامن يعني اكثر من القدرة على صدّ هجوم عسكري كبير . . . وانه يغطي حيزا ما ، يمكن ايجازه بحماية المصالح الوطنية » .

وبالمقابل ، وسيرا على طريق توازن النقائض في مفاهيم الامن العربية الاسرائيلية ، فان الفلسطينيين يعبرون عن اعتقادهم ، انه لا يوجد ضمان مطلق ضد ما يطلق عليه الاسرائيليون « الارهاب » كمضمون او كظاهرة ، ويبادر بعض الفلسطينيين الاخرين إلى القول بان « الارهاب » ضروري في مقولة الوجود الاسرائيلي ، فاسرائيل توظف الهجمات « الارهابية » ، من اجل المراوغة في الاعتراف بالحق الفلسطيني ، بعد أن تلقي باللائمة على منظمة التحرير الفلسطينية ، وتصفها بانها منظمة ارهابية .

ومن تعقيدات الامن والسلام ، ما يعتنقه بعض الذين يعتقدون ، ان السلام الحقيقي سيخلق مشاكل ومصاعب للقيادة الاسرائيلية : كمشكلة التغلب على التضخم المالي . ومن ناحية اخرى فإن بعض الاسرائيليين ليعتقدون أن الصراع واستمراره ، وسيلة للحفاظ على الشخصية الاسرائيلية ، وتجانسها القومي .

ويعطف المؤلف على هذا قوله ، انه يوجد على الجبهتين العربية والاسرائيلية من يخشون الاستقرار في المنطقة ، وهم لهذا يقررون عرقلة عملية السلام .

وبالمقابل فإن هنالك من يرحبون بالامن الحقيقي ، باعتباره امرا ، يخص الامة ومصيرها ، وليس انظمة الحكم . ومن هنا فانهم يفسحون المجال ، لمحاولة استكشافه ، وتحريه ، وبحثه .

مشكلة الحدود الآمنة : يقف فريق العمل ، وقفة خاصة ، عند موضوع الحدود الامنة ، باعتبارها احدى العقبات الرئيسية ، على طريق السلام . وهنالك مقولتان متعارضتان في هذا الموضوع ، هما مقولات توازن النقائض ، على طريق السلام في الشرق الاوسط .

المقولة العربية :

يمكن تلخيص المقولة العربية ، بهذه الكلمات القليلة ، الا وهي **ان العرب هم الذين يحتاجون إلى الحماية والامن وليس الاسرائيليون** وتستشهد الدراسة بقول بروفيسور

فلسطيني : « يأتي الناس الغربيون إلى هنا ويسألوننا عما نريد فعله من اجل ضمان أمن اسرائيل . . ان مما يدعو إلى السخرية في مثل هذه الاسئلة ، ان اسرائيل هي التي تحتل ارضنا ، والاراضي العربية الاخرى وعندما يتخلون عنها ، فمن يضمن لنا بعض الحماية ، من عمل من نفس النوع ، في مرة اخرى ؟ » .

ويرفض العرب ، ان الملامح الطوبوغرافية ، هي وسيلة مطلقة لضمان امن اكبر : فلن ينفع في عملية الضمان هذه ـ في الثمانينات ـ مناطق التلال ، عند مواجهة مسلحة كاملة .

وتمضي المقولة العربية ، لتبرهن أن الاسلحة المعقدة ، قد قللت من اهمية المسافات في الحرب .

وعلى هذا فلا غنى عن السلام الحقيقي ، ببناء عوامل الثقة المتبادلة ، بواسطة الاعمال ، وليس الاقوال . كما قال مسؤول اردني . وقد عبر فلسطيني عن نفس المعنى بطرحه خلق ما يسمى بوفاق صغير Mini detente .

من هذا المنطلق العربي ، تخرج مقولة اخرى تنبني عليه ، وهي ان انشغال الاسرائيليين ، بالحدود الامنة ، التي يمكن الدفاع عنها ليست سوى غطاء لنزعة التوسع الاسرائيلية والرغبة في ضم الاراضي العربية ، « انسجاما مع الاهداف الاسرائيلية التي طالما عبر عنها الاسرائيليون » وتستشهد الدراسة برأي ضابط سوري ، تسائله : « كيف يمكن لاسرائيل أن تتحدث عن حدٍّ نهائي ، في الضفة الغربية ، وكل ما يقال عن الحكم الذاتي Autonomy ليس الا جهدا ذكيا ، من اجل تحقيق الاهداف الاسرائيلية لسوء الحظ أن الامريكان وقعوا في الفخ ، ظنا منهم انهم يعرفون شيئا ما ، لا يعرفه بيغن » .

إن العرب ليعتقدون أن موافقة الاسرائيليين على الانسحاب من سيناء لم يكن في حد ذاته ـ اجراءً صادق النية وانما هو جهد ، المقصود منه ، تفتيت الجهد العربي ، سيرا على خطهم في التوسع ، في الضفة الغربية ولبنان .

المقولة الاسرائيلية :

للاسرائيليين منطلقاتهم وتوجهاتهم ، حول ما يعرف بـ « الحدود الامنة ، التي يمكن الدفاع عنها » والتي تدخل في التعريف الاسرائيلي ، منذ عام ١٩٦٧ ، تحت اسم الامن القومي .

وتعود الدراسة بهذا المفهوم عن الامن القومي ـ تاريخيا ـ إلى شعار الحرب الوقائية ، وضربات الردع ، التي ادخلها بن غوريون في مفهوم العسكرية الاسرائيلية ، عندما نادى

بنقل الحرب إلى ارض العدو ، بدلا من ان تتم على ارض اسرائيل . ومن نظرية الردع هذه ، نجمت قضية الحدود الآمنة .

وتستشهد الدراسة على ما تذهب اليه من وجهة النظر الاسرائيلية هذه ، بقول مسؤول في الدفاع الاسرائيلي قال : « إن امتنا ينبغي أن تتم لها الحماية ليس فقط بالقوات العسكرية والاحتياطية والتكنولوجيا ، وانما بحد ادنى من الامن الجغرافي Minimal geographic Security . ان من واجبنا أن نحسن في هذا البعد الاخير (الجغرافي) ، عندما نستطيع » .

ومن هنا فان اسرائيليين كثراً يوافقون ـ من منظورهم ـ على أن البعد الجغرافي ينبغي أن يشمل مساحات في الضفة الغربية ، من مثل وادي الاردن ، ومنطقة القدس ، وبعض النقاط عبر الخط الاخضر . ولعل ابسط صيغة للحدود الامنة الاسرائيلية كما يذهب فريق العمل ـ هي ما قاله مراسل عسكري لاحدى الصحف الاسرائيلية : « إن معظم الاسرائيليين يوافقون على أن الحدود الامنة ليست تلك التي يضمنها الانسان بواسطة معاهدة أو ضمانات اخرى ، ولكنها الحدود الآمنة من نفسها ، بسبب من موقعها الجغرافي ، والطوبوغرافي » .

وفي نظر كثير من الاسرائيليين فان انشاء المستوطنات في الاراضي المحتلة ، يساعد في خلق ما يسميه الاسرائيليون « حقائق على الارض facts on the Ground » الامر الذي سيضمن حدودا مرضية ، للاسرائيليين ، في اي اتفاقية سلام .

ويرى المؤلف الاستاذ امروز Omroz ، ان الخلاف المرير في اسرائيل ، اليوم ، يتركز على الميل إلى الخلط في الاعتبارات الامنية بين الامور الدينية والتاريخية والقانونية ، من اجل مبرر عقلاني لاستمرار احتلال الضفة الغربية .

ومهما يكن ، فإن المؤلف يستدرك ليقول ان المحللين المنصفين من الاسرائيليين انفسهم ليقرون أن المفهوم الاسرائيلي السائد للامن ، قد تحطم على صخرة حرب ١٩٧٣ ، عندما ثبت أن المناطق الدفاعية ، ليست وقاية حقيقية من مؤثرات هجوم خاطف . ويذهب فريق العمل إلى القول ، ان هنالك في اسرائيل مفكرين جادين ، من بينهم رجال في الجيش ، معروفون بمقدرتهم على التفكير الشامل بالامور العسكرية ، ممن يعتقدون أن عامل الامن الحقيقي الغائب ، هو السلام مع الدول العربية ، حتى بحدود عام ١٩٦٧ .

وعلى هذا فان المؤلف يعود ليؤكد ثانية أن العبرة في السلام ، بالنوايا والتوجهات ،

وليس بالمدافع والتحصينات . ويرد هنا في الدراسة قول خريج عربي كان على اتصال بالمثقفين الاوروبيين والعرب والاسرائيليين في اوروبا : « اننا راغبون في عمل مبادرات لتعزيز الثقة وانهاء الصراع الرئيسي . . ليس لاننا خائفون أو متعبون من الحرب . ولكن لاننا ننظر في ديناميات الثمانينات وما بعدها ، كتيار سوف يجرفنا جميعا ، اذا نحن لم نبادر في الوقت المناسب » .

ويورد الكاتب روديسيا كمثل على تعطيل عملية السلام ، التي لا تعود بالفائدة على أحد . فالسلام في روديسيا كان ينبغي أن يتم في اوائل الستينات . ولكن تأجيله إلى اواخر السبعينات ، جلب الكثير من الدمار والتضحيات على الجانبين الوطني ، والمستعمرين والبيض ، بدون احراز تقدم كبير ، في شروط هذا السلام ، بعد كل هذه التضحيات ، لصالح احد من الطرفين .

ويستهجن البعض كل هذه الشراسة في النزاع العربي الاسرائيلي لا سيما وهم مقبلون على السلام . يقول دبلوماسي عربي : « إن المأساة اننا لسنا بعيدين عن سلام مخلص » .

بعض خيارات السلام

وسط حلقة سلسلة توازن النقائض ، يفتش فريق العمل عن مخرج من هذا المأزق . يفتش عن وسيلة لتحقيق الامن والسلام في المنطقة . هذان العنصران الغائبان وسط الصراع القائم . في هذه المرحلة يطرح فريق العمل طروحات سلام لا تقف فيها التناقضات لتأخذ بعنان بعضها بعضاً فلا نكاد تريم ، وانما لتفسح المجال لهامش من الحلول ، التي يستعرض فيها الكاتب انواعا مما يسميه سيناريو السلام الكامن ، أو المحتمل تنفيذه .

هذا السيناريو هو محاولة للرد على مخاطر السلام ، التي عرضنا لها في الفصل الاول من هذه الدراسة . وهو على الوجه التالي :

ـ **تحييد المنطقة** : لقد ناقش فريق العمل الفوائد التي يمكن ان تعود من العمل على تحييد المنطقة ـ منطقة الشرق الاوسط ـ وبصورة خاصة الحد من التأثيرات العسكرية المباشرة للقوى الكبرى . (يمكن العودة إلى تفاصيلها في الكتاب) .

ـ **دولة فلسطينية محايدة** : تذهب الدراسة إلى أن الفلسطينيين ممن قابلهم فريق العمل ، ناقشوا هذا الخيار بالحياد ، على اساس من انهم يمكن أن يختاروه من تلقاء ذاتهم ، ومن خلال ممارستهم لحقهم في تقرير المصير .

فما هو المقصود بالدولة المحايدة ؟ وماذا يعني الحياد ؟ للاجابة على هذا السؤال ، تعرض الدراسة لحالة من الحياد الدائم ، وتتمثل في دولة سويسرا المحايدة المستقلة . تلك الدولة التي تبنت الحياد في القرن السابع عشر . وتمكنت من ضمانه ـ دوليا ـ عام ١٨١٥ . كما أن النمسا حصلت على حريتها وحققت حيادها في معاهدة الدولة State Treaty في ١٥ مايو ١٩٥٥ . وكلا المثالين السابقين لسويسرا والنمسا ، فيهما عناصر ذات اهمية خاصة ، لاية مناقشة في انشاء دولة فلسطينية محايدة ، على ارض الضفة الغربية وغزة والوضع النمساوي ، بصورة خاصة ، سيرجع اليه كما يشير الكتاب ، في انشاء مثيل فلسطيني محايد

وينثني المؤلف ليقول ، ان السويسريين يناقشون في ان حيادهم ، ليس غاية في حد ذاته ، وانما هو وسيلة لغاية : وهو « الحماية الذاتية لدولة صغيرة » ويضيف إلى ذلك قوله ، إن المفهوم السويسري للحياد هو سياسي وعسكري ، وإن الدولة هي التي تقف على الحياد ، وليس الافراد ، أو المواطنون في الدولة . فالافراد والصحافة والجموع في هذه الدولة المحايدة ، لهم حق حرية الكلام ، وحرية دعم المبادىء والاهتمامات بصفتهم الشخصية .

هنا تؤذن الدراسة بلحظة الحل ، أو لحظة التنوير ، كما يقال في القصة أو المسرح ، لحظة الانفراج . وهنا يبدو لاول مرة في آخر النفق المظلم شعاع نور ! فشواهد التشدد والعنف يحل محلها شواهد من اللين والقبول بالحلول : فاحد رؤساء الحاخامين الاسرائيليين بالرغم من صحة الرأي العام الاسرائيلي المتوقعة ، يقول لفريق العمل : إن القانون اليهودي يسمح للحكومة بان تتخلى عن الاراضي المقدسة التوراتية ، إلى الحكم العربي ، اذا كان هذا التخلي سيمنع الحرب .

ومن الناحية الاخرى ، فان النزعة الجادة للفلسطينيين للافادة من الوقت لبناء دولتهم ، ستمنعهم من تعريضها لهجوم ، واحتلال الاسرائيليين ، باستفزازهم لذلك .

كما أن من شروط الفلسطينيين ، عدم القبول بجيوب امنية في المناطق الحساسة والهامة من بلادهم ، او دولتهم ، كما لم يقبل النمساويون العروض السوفيتية في هذا الشأن ، قبل ٣٠ عاما .

ومهما يكن من امر فإن هذه الطروحات في السلام ، لا تقف طويلا عند مشروع الحكم الذاتي المرتبط بمعاهدة كامب ديفد . وكما يظهر من محاكمات الدراسة ، ومناقشاتها فإن موضوع الحكم الذاتي لم يعد ذا بال بين طروحات السلام ، ويمكن القول أن فكرة

الحكم الذاتي ولّت إلى غير رجعة . بل يظهر أنه ربما كانت احدى الانجازات السياسية العربية أو الفلسطينية ، بعد كامب ديفد ، هي احباط فكرة الحكم الذاتي ، وتجاوزها إلى المطالبة بدولة فلسطينية ، مستقلة مهما كان شأن الاطار الذي ستبرز من خلاله .

امكانية وقوف الدولة الفلسطينية على قدميها : وتتساءل الدراسة هل ستتمكن الدولة الفلسطينية أن تقف على قدميها ؟ وتجيب على ذلك ـ على خلاف ما يعتقد البعض احيانا ـ بأن هذا ممكن . اكثر من ذلك فإن الدراسة ، ترسم بحسب الشواهد التي توردها ، صورة جميلة جدا ، ومستقبلا مشرقا لهذه الدولة ، وبصورة خاصة من ناحية المحذور الاساسي للبقاء ، الا وهو المحذور الاقتصادي :

يقول احد رجال البنوك الاردنيين « كثير منا يستطيعون ان يستشرفوا إلى بنايات عالية في دولة فلسطينية ، وهي امور تذكرنا ببيروت القديمة ، وفي هذه الدولة ستركز الاقطار العربية ومثلها بقية دول العالم التجارية ، تجارتها الاقليمية وانشطتها الاستثمارية » . كما يسأل دبلوماسي اوروبي مقيم في الشرق الاوسط اعضاء فريق العمل عن حسنات وامكانات قيام الدولة الفلسطينية فيقول : « هل بامكانكم أن تجدوا سببا اعظم لمنع اعمال العنف ، والعلاقات غير المستقرة مع اسرائيل ، اكثر من خلق دولة فلسطينية ، ستصبح سويسرا الشرق الاوسط ؟ (هنا ستكون) بطالة متدنية ، واجور جيدة ، ومناخ لطيف ، وشعب مثقف ، لكي يملأ وظائف الياقات البيضاء ، بالاضافة إلى صناعات انشائية ماهرة . إن هذه الاشياء هي الاجابة الحقيقية على النقاشات المتعلقة ، بنقص قابلية الدولة للاستمرار الاقتصادي ، التي كانت تثار عن الدولة الفلسطينية . إن هذا الذي نقوله ليس حلما من الاحلام التي تنسب إلى العرب احيانا كما انها ليست شطحة من شطحاتهم ، ولكنه رؤ ية محتملة . وتزيد الدراسة على ذلك ان اكثر الخبراء خبرة ، يعتقدون أن هذه الدولة في الضفة وغزة ، ستتمكن من استيعاب ٥٠٠,٠٠٠ ساكن جديد ، يستطيعون ان يقيموا فيها اقامة دائمة ، مدة تزيد على خمس سنوات » .

مميزات هذه الدولة الفلسطينية المحايدة : الحسنات والسيئات : يذهب الكاتب إلى أن فكرة الدولة المحايدة ، ستكون عملية اختراق لحالة الجمود deadlock ، في القضية الفلسطينية . ففكرة الحياد ستجيب على سؤال السيادة Sovereignty ، في الدولة الفلسطينية ، كما ستجيب على الهموم الامنية ، لجيران الدولة الفلسطينية ، بمن فيهم اسرائيل .

اما عن مميزات هذه الدولة الفلسطينية أو مميزات اقامتها ، فتستشهد الدراسة بقول

رجل اعمال فلسطيني : « إن هذا الحياد قد يكون فيه اجابة على كثير من مشاكلنا . لقد اثبت التاريخ الحديث أن الدول الحيادية ، هي دول جيدة . كما أن هذا الحياد لن يعني اننا سنرفض العالم العربي . . » .

كما أن من الحسنات ، ايضا ، أن دولة فلسطينية محايدة ، ستفيد مجمل دول المنطقة ، كاملة سياسياً واقتصادياً .

اما على جبهة السلبيات ، فتذكر الدراسة ان عدم التوازن العسكري بين دولة اسرائيل المسلحة . تسليحاً ثقيلا ، والدولة الفلسطينية المسلحة تسليحاً خفيفا ، سيجعل الدولة الفلسطينية تحت رحمة اسرائيل .

كما أن الدراسة تشير إلى ما قد ينجم بين الزعامات الفلسطينية ، من خلافات ، تؤدي إلى عدم الاستقرار في المنطقة .

دولة كونفدرالية : مشهد آخر أو فصل آخر من فصول سيناريو الحل الذي يعالجه فريق العمل ، هو الاتحاد الكونفدرالي بين فلسطين والاردن : فالدراسة تشير إلى أن عدداً كبيراً من الاسرائيليين يتساءل ، لماذا يصر الفلسطينيون (الضفة الغربية وغزة) على الحصول على استقلالهم وسيادتهم الوطنية ، قبل الموافقة على نوع من الاتحاد الكونفدرالي مع الاردن . وتضيف الدراسة إلى ذلك ، ان الاجابة على هذا السؤال تأتي من رجل اعمال فلسطيني معتدل : « عليكم ان تتذكروا ان منظمة التحرير الفلسطينية ليست قبضة من الشذاذ الراديكاليين . انهم ـ في حقيقة الحال ـ قيادتنا ولا يمكن استبعادهم » .

على أن ما يتوخاه دعاة الحل الكونفدرالي من السياسيين الغربيين ، انما هو أن يتمكن الاردن المحافظ ، ان يخفف من راديكالية الدولة الفلسطينية . ولعله بهذا يوضع الفلسطينيون امام خيارين : دولة محايدة ، أو دولة اتحاد كونفدرالي .

غاية الامر أن هذه الخيارات المطروحة ان دلت على شيء فانما تدل اولا : على انه لم يعد بالامكان اخفاء القضية تحت السجادة ، مرة اخرى ! ان الهوية الفلسطينية لم يعد بالامكان تجاهل وجودها . كما لم يعد بالامكان النوم على الحق الفلسطيني وتجاهله .

اكثر من ذلك تذكر الدراسة حرفيا (ص ١٧١) ما نصه :

« إن على القارىء أن يفهم أنه لاول مرة منذ اربعين سنة مضت ، يشاهد الفلسطينيون أن الرأي العام العالمي ينظر بعين العطف إلى حقهم في تقرير المصير ، وانشاء دولة خاصة بهم . . ان المسألة لم تعد الآن اكثر من مسألة وقت » .

مشكلة القدس : ولعل قارئي العزيز قد قفز إلى ذهنه السؤال المحير . . والذي يقفز عادة تلقائيا إلى ذهن كل من يستعرض قضية الشرق الاوسط أو القضية الفلسطينية الا وهو : ماذا عن مشكلة القدس ؟ تحاول الدراسة ان تجيب على هذا التساؤل تحت عنوان مستقبل القدس بالنقاط التالية التي تدل على محاولاتها طرح حلول عملية ، لحل مشكلة القدس ضمن المعطيات أو الاطر التالية : ـ

١ ـ ان جميع الاطراف المتنازعة توافق على السماح بالوصول إلى الاماكن المقدسة ، لكل اتباع الديانات ، كما ينبغي ، وهي ايضاً تنادي بحرية ممارسة الشعائر الدينية بدون تمييز أو مضايقة . بل ان اغلبية ساحقة من عينة الشرق الاوسط **١٩٧٩** 1979 Middle East Sample تتفق على ان الاماكن المقدسة ، ينبغي ادارتها من قبل ممثلين عن الديانات المعينة .

٢ ـ ان كثيرا من الخطط المقدمة لحل المأزق تنادي بتدويل مدينة القدس ، مع العلم أن مثل هذه المقترحات ، قد تم رفضها كليا من قبل الحكومة الاسرائيلية .

٣ ـ ومع هذا فإن اغلب اعضاء عينة البحث ، يعتقدون أن **الحل الوسط** يمكن التوصل اليه ، اذا كان هنالك رغبة متبادلة من اجل سلام كامل .

كما انهم يعتقدون أن مشكلة القدس بالرغم من تعقيدها الشديد ، وبالرغم من الحساسية العظيمة ، المرتبطة بها ، لدى جميع الاطراف المتنازعة ، ان هذه المشكلة يمكن اعتبارها على مستوى غير معلن ، **مشكلة قابلة للحل من قبل العرب والاسرائيليين ولكن بشرط أن يكون هنالك التزام بالسلام** .

وتؤيد الدراسة ذلك ، بقول احد المسؤولين اليهود ، من يهود تل ابيب : « إن عقلية الحرب لدينا ، تجعل من سيادة العرب على قدم واحد من القدس ، حلما أو كابوسا ، ولكن اذا كان هنالك سلام حقيقي ، فانني مستعد أن احلم به ، أو أقبله » .

وعلى طريق السلام المنشود فانه لا بد من كسر الحواجز النفسية . ويعزز الاسرائيليون هذا التوجه بالحديث عن مبادرات السادات لاسرائيل .

ويتقدم العرب بمقولة اساسية ، تقود إلى السلام ، وتدل على حسن النية فيه ، ومجمل هذه المقولة : إنه اذا كان الاسرائيليون يريدون سلاما حقيقيا ، فإن عليهم أن يوقفوا دولتهم عن انشاء مستوطنات جديدة في المناطق المحتلة ، « فالاعمال تتحدث بصوت أعلى من الكلام » قال ذلك مسؤول اردني وهو يشير إلى خارطة للمستوطنات الاسرائيلية الجديدة ، التي انشئت بعد اتفاقيات كامب ديفد في المناطق المحتلة .

غاية الامر ان زرع الثقة بين الاطراف المتنازعة ، تبقى هي رأس الامر كله . وهنا يأتي الكاتب إلى اطروحته الرئيسية في الكتاب ، والتي تحمل عنوانه فيقول : « **إن وراء البحث عن الامن ، يقع البحث عن الثقة المبنية على الايمان أو الاعتقاد بان الهدف النهائي لكل من الفريقين المتنازعين ليس هو الرغبة في هزيمة الاخرين أو التأثير على ديانتهم أو عقيدتهم أو ارضهم** » .

وتكملة الاطروحة ان وراء الامن المطلوب ينبغي أن توجد الارادة السياسية الفاعلة فهو يقول ايضا : « إن هذه المقتبسات المقدمة إلى اعضاء فريق العمل تبقى كلاما ما لم تتوفر الارادة السياسية ، لتحويل الكلمات إلى سياسة » .

ويختم المؤلف كتابه بهذه الفقرة المعبرة والمنسجمة مع اطروحته :

« إن الامن لا يمكن فصله ، كعامل مستقل ، في عملية البحث ، عن حل للنزاع العربي الاسرائيلي . ان اعتبارات الامن يجب أن ينظر إليها سواء بسواء مع الابعاد التاريخية والقانونية والاقتصادية والسياسية والدينية لهذا النزاع . على أن الامن للناس والارض ، يبقى حجر الزاوية ، من اجل دعم التسوية » .

* * *

خاتمة واستنتاجات

وبعد فإن هذه الدراسة ـ كما شاهدنا ـ محاولة للنظر في المشكلة المزمنة للشرق الاوسط ، من اكثر من زاوية على المستوى المحلي ، وعلى المستوى الامريكي والمستوى الدولي . ولكن الاصالة فيها انها تعتمد على رأي اصحاب المشكلة انفسهم ، ورؤيتهم لمشكلتهم .

وعلى خلاف ما تعودناه ، من اهمال أو تحامل على الفلسطينيين بين الدارسين الغربيين ، والامريكيين منهم بصورة خاصة ، وتمجيد ـ بالمقابل ـ للاسرائيليين ، فإن هذه الدراسة ـ لانها تعتمد على الواقع ، وتحاول التفاعل ، واجراء تحاور معه ، ـ تحاول أن توازن بين النقائض لدى الطرفين ، تمهيدا لايجاد توازن في المتوافقات بين نفس الطرفين ! أو قل انها على الاقل في هذه المرحلة تحاول أن توازن بين الجوانب الايجابية والسلبية على مستوى المعسكر الواحد ثم على مستوى المعسكرين للخروج بصورة كلية وشاملة ومفيدة .

ولعل هذه الدراسة تستمد شيئاً من أهميتها في اننا لم نتعود منذ الحرب العالمية الثانية أن نحظى بدراسة امريكية عادلة واضحة وصحيحة عما حصل أو يحصل بالضبط في

الشرق الاوسط . وبالذات من ناحية الاعتراف بالوجود الفلسطيني كوجود سياسي وليس وجودا ماديا كلاجئين .

إن هذه الدراسة هي انعكاس صحيح لوجودنا السياسي كفلسطينيين بالقوة أو بالفعل . . واننا لم نعد كما مهملا . انها اكثر من ذلك دليل على اكتشافنا من قبل العالم . واكتشافنا ، بالمقابل ، للعالم ، وتفاعل هذا العالم معنا ، وتفاعلنا معه ، تفاعلا ايجابيا فعالا حتى الآن ، مما يبشر بان الامور ستتطور إلى أفضل اذا استمرت في سيرها على هذا المنوال .

كما أن هذه الدراسة تشير اشارة صادقة وصريحة إلى أن الشعب الفلسطيني موجود ، ليس في بطن الشاعر ، وليس وراء الاكمة ، وانما هو موجودٌ وجوداً صريحا واضحا وانه ليس شعبا فقط ، وانما يحمل كل مقومات الامة - بالمعنى القومي - التي تستحق التقدير ، كامة ، وتستحق حق تقرير مصيرها ، اسوة ببقية الامم على وجه البسيطة ، وبحسب شرعة حقوق الانسان .

وان اراء وخبرات هذا الشعب - التي كثيرا ما استبعدت في السابق - اصبحت الان ضرورية لمعرفة اعماق الصراع بين العرب واليهود . وان من اراد ان يصل إلى الحقيقة الشرق اوسطية دون أن يرجع إلى الفلسطينيين ليستفتي خبراتهم ، ويلمس جراحاتهم ، ويفهم هواجسهم وتطلعاتهم فانه لن يفلح !

وإن الصراع الفلسطيني الاسرائيلي هو جوهر الصراع الحقيقي في المنطقة اكثر من كونه صراعا اسرائيليا عربيا أو اسرائيليا - شرق اوسطيا الخ وان النقيض الحقيقي للفلسطينيين هي اسرائيل وان استمرار الوجود الفلسطيني دليل آخر على فشل ما اراده - وما عمل من اجله - ويريده النقيض لنقيضه !

تؤكد الدراسة ايضا على حق تقرير المصير للفلسطينيين الذي هو القاسم المشترك الاعظم لدى جميع الاطراف تقريبا ، فلا فراق عليه ولا خلاف ، في الشعور كما هو في اللاشعور ، ولا داعي بعد اليوم لانكار هذا الحق أو تجاهله أو التعامي عنه .

والدراسة تكشف - كما مر - ان اوراق الحل ليست ٩٩٪ منها - كما يذهب السادات - في يد امريكا ، بل ان هنالك اكثر من طرف يستطيع ان يسهم فيها بحل .

فعلى المستوى الدولي هنالك اكثر من عنصر فعال. والاهم ، ولعله الجديد في الخريطة السياسية وتطورات المنطقة اخيرا هو بروز الدور الفلسطيني الى درجة لم يعد

بالامكان اخفاؤه! كما تأكدت الحقيقة القائلة ان لا سلام بدون الفلسطينيين كما يقول مؤلف الكتاب في مقدمة كتابه .

والدراسة على ما يظهر تحاول أن تجيب على هذا التساؤل : إلى متى سيظل الفلسطينيون بدون وضع قانوني juridical ، الجيوش تجرد عليهم والتاريخ يزيف ليثبت عدم وجودهم والتصريحات تلقى لتزيدهم خضوعا وعبودية .

وبعد فإن لهذه الدراسة قيمة كبيرة في انها وضعت الفلسطينيين على اساس متكافىء مع جميع العناصر والدول في المنطقة ، بل انها حيانا ابرزت جوانب متفوقة لديهم على غيرهم . فمن الآن فصاعدا لم يعد الفلسطينيون هم الخارجين على القانون ! بل انهم بشر كالبشر ، وتجمع قومي متين شأن اي تجمع قومي آخر ، وما على العالم الا ان ينظر ماذا يمكن ، بعد هذا الذي تحقق من جانبهم أن يفعل لهم !

على اننا ينبغي أن نحذر ـ هنا ـ من أن نأخذ هذه الدراسة ـ رغم محاولاتها في الانصاف والاعتدال ـ على علاتها أو ان نتبنى ما جاء فيها من توصيات بدون حذر . فكثير من مثل هذه الدراسة ومثيلاتها ليست احيانا كثيرة سوى بالونات اختبار ، وجزء من خطة واسعة لبيع افكار سياسية معينة لفئة معينة ، وتوريطها في حلول مفبركة أو مصنعة بطريقة خاصة ! رغم انها تظل مادة ممتازة للتفكير ، وفتح آفاق جديدة ، لتقليب وجهات النظر ، واتاحة المجال ـ من خلال المعاناة والقياس . لمزيد من الخلق والابتكار وصياغة الحلول التي نراها مناسبة لنا ، وتتفق مع حقوقنا ومصالحنا وطموحاتنا ، وتتناسب مع اصالتنا ومثلنا وتاريخنا الخ . . سيرا على طريق الوصول إلى الحقيقة ، والحق اللذين هما الغاية والوقود الاساسي للنضال الطويل المرير .

اختم هذه الدراسة بالقول أن صورتنا في اعين الدارسين نساهم نحن احيانا كثيرة في صناعتها ، وان لنا دورا كبيرا في عكس واقعنا الكياني الوجودي على مخيلة الاخرين بالطريقة التي نقررها ونريدها بوعي واصرار . وان الحقيقة ـ كما يقال ـ دوارة كروية تدور كالكرة وتتغير بحسب تغيراتها ، وانه ليس هنالك شيء ثابت ودائم بل ان الدهر جميعه دولاب دائر ! فلنحاول دائما العمل ايجابيا ، من اجل حقنا ، وحتى نعكس صورتنا على صفحة الاشياء حسنة مشرقة قوية . . .